

(١٣)

محمد

الإنسان في أحسن تقويم لإنسان ربه العليم الحكيم لاسم الله الرحمن الرحيم

حديث الجمعة

١١ رجب ١٣٨٨ هـ - ٤ أكتوبر ١٩٦٨ م

نعوذ بالله.. ونستعين بالله.. ونعمل بالله.. ونتجه إلى الله.. ونسير إلى الله.. ونبدأ من الله.. وننتهي إلى الله، بشهادة أنه لا إله إلا الله، في طريق الحق، بشهادتنا لمحمد رسول الله، أنه الحق من الله.. والخلق لله، والاسم والوجه لله بإنسان مبناه لإنسان معناه، في معارج علاه، وفي مهابط دناه.

اصطفاه الله، وجعله شهيدا على من منهم اصطفاه، واصطفى منهم لعين معناه، مصطفى ومصطفى بمعناه، ثم جعله على المصطفين أول من حققه لاصطفاه، وأتى به شهيدا على كل من اصطفاه في نفسه لنفسه يراه لعين معناه.

طابع النبيين وخاتمهم، ومثالية العابدين وأولهم.. قبضة نوره لأهل السماوات والأرض وعلمهم.. جعله نوره الساري، في الإنسان، وجعله روحه العامل لخير الإنسان فجعله إنسانا، لإنسان، وإنسانا من إنسان، لكل إنسان كافة للناس إنسانا لله، لبيان العنوان وبالإعلام للأعلام.. جعله أمرا وسطا في عيان، عبدا لله وربما للعوالم والأكوان، وحقا وخلقًا، للعيان وللبيان.

جعل العلم به، هو علم الإنسان عن نفسه، وعلم الإنسان عن ربه، وعلم الإنسان عن عبوديته لقاء عبده.. وعلم الإنسان عن كونه.. وعلم الإنسان عن وجوده.. وعلم الإنسان عن موجوده.. وعلم الإنسان عن سابقه.. وعلم الإنسان عن لاحقته.. وعلم الإنسان عن قائمه، جماع سابقه ولاحقه، بلا إله إلا الله، لقيام محمد رسول الله، به جاء الحق من الله، وبه تحقق الخلق لله، بقيوم الله على قائم خلقه،

حتى أصبح قائماً بعين قيومه، لا فرق بين الخلق والخالق فيه، أزهق باطله وبعث بالحق فيه، أمراً حقيقه لنفسه ويتحقق لأتمته ومتابعيه.

كان الله عنده ولعلمه الخالق، ولا شيء معه، ثم خلق الخلق، وهو الآن وبعد خلق الخلق، لا شيء معه، بذلك قامت لا إله إلا الله، لقائهما، وقام محمد رسول الله، لعارفيها.

فتردد كائن الإنسان، بين الشهادة والغيب لها، حتى جمعهما فيه لقائمه ومعانيه، متردداً بين الكثيف واللطيف لوجوده، بين الفيزيقي الجسماني الجسدي لوجوده، والأثيري الروحي لموجوده.. تردد بينهما.. فجاء لكثيفه من لطيفه، وذهب من كثيفه إلى لطيفه.

كان لطيفه وكثيفه، معاني الدنيا والآخرة لموجوده، في قائم وجوده، وجوداً لموجوده، فكان ناقص البصر، ما قام في أحدهما دون الآخر، فإن قام في موجوده الأثيري، لقائم دنيا يقومها، كان وجوده الفيزيقي آخرة ينشدها، وإن قام في وجوده الفيزيقي الجسماني، دنيا يقومها، كان الوجود الأثيري، أخرى ينشدها.

وكل دنيا يقومها، سواء في الجانب الأثيري له، أو الجانب الفيزيقي له، هي دون الآخرة ينشدها. الآخرة دائماً خير وأبقى، إن كانت في الجانب اللطيف، من عالم الأثير، أو كانت في الجانب الفيزيقي، من جانب الذات والجسد.

كلا الجانبين، إنما هو يوم من أيام الله، طال أو قصر، لأيام تتعاقب، فإذا كان الجانب الأثيري، هو الأصل، لمعاني الدنيا، فليس معنى هذا أن لا يتواجد في الجانب الفيزيقي، لقائم الآخرة. فإنه يتردد بين الجانب الأثيري والجانب الفيزيقي، بكرات للحياة، أياً ما كانت دنياه منهما، وآخرته بأحدهما ما كسب وصف الإنسان.

ولكن الحياة الأصيلة، الحياة لمعاني الحياة الحقيقية.. الحياة لمعاني الحياة القدسية.. الحياة لمعاني الحياة الخالدة الدائمة للإنسان في أحسن تقويم، إنما هي للإنسان، يوم يتجاوز أنه، من موجوده الأثيري وهو وجود مادي لطيف، ومن موجوده الفيزيقي الجسدي المادي الكثيف إلى وجوده الحقي.

يتجاوز أنه، لموصوف الخلق، وقائم الخلق، من الحياتين، إلى قيام له، في حضرة الموجد، بمعنى الحق المتواجد، بمعنى حقي العبد، في حضرة عينه، لمعاني الأعلى ولمعاني الرب، لا فارق بينهما من وجود، ولا فرق بينهما من موجود، لا تفصلهما اختلافات الطبائع فقد تجاوز الطبيعة إلى صبغتها بخالفها فوقها، فهي حضرة لا طبيعة، ولكنها حضرة الإرادة المنشئة الطابعة. إنها الحضرة القدسية.. الحضرة المطلقة.. الحضرة المنزهة.. الحضرة الحقيقية، لحضرات الأسماء الذاتية، ولحضرات المعاني والطاقات

الروحية، لإدراك الحضرات الكونية والوجودية، في الوجود المطلق.. في الحق المطلق، بالحقائق المنطلقة، للوجود يتواجد، وللأكوان تتكون، وللكائن البشري يكون، حتى يتحقق من فيض حضرة الإرادة والتنزيه.

بهذا الناموس شرف الإنسان في الوجود خلق له، وأضيف الإنسان إلى الموجد خلقه لنفسه، وقام الإنسان سيد وجوده حيثما حل، وحق موجوده، كلها أسفر، لقائم الله لوجوده. قام بذلك الإنسان اسما لله ورسوله، وقيامًا باسم الله ورسوله لقائمه، فاستقام الإيمان بالله بالإيمان برسوله قرين الإيمان به.

آمن بنفسه، يوم عرف نفسه، عرفها في خلقيتها فجها، ومجها فانطلق منها وعرفها بحقيتها، فعاد إليها.

انطلق إلى الله، لا يعرفها له، ويمقتها لنفسها، ويمجها وجنسها، فلها أصبح كائنا منطلقا، وروحا لطيفا، أثريا، لم ير في انطلاقه كفايته، ولم ير في انطلاقه غايته، وشعر أنه ما زال في حال الافتقار إلى الحقيقة.

وباستقامة السير في الطريق والطريقة عاد إليها باحثا عن الحق فيها، حتى لقي ربه بها، يوم عرفه في نفسه أزهر باطلها، وقد فتح صدره لله بشعوره بافتقاره، وهياً قلبه له لانتظاره، فسرى فيه من كان هو نور السماوات والأرض، وإنسان وجوده، وقائم موجدته، وحق الحقائق لنوعه، وأول العابدين في شريعته وشرعه، ووجه الله لطلعته، ونور الله بقبضته، والنور المنزل منه، من غيبه، ليشهد في الوجود بعينه، قائم العبد للعابد، ووجه المعبود للمشاهد.

سرى في لطيفه نور موجدته، برسول موجوده، بحق شهوده، فعرف ربه في نفسه، قائم نفسه، وقائم موجوده، وحياة وجوده.

عرفه الحي ولا حياة لغيره، لموصوف الحي في الوجود، به حيي الوجود.. عرف الحي، القيوم، قائم الحي القائم، ما حيي كائن بحياة، وما رشد راشد بخلاص، من مبناه.

فلما تحقق لنفسه بمعناه، فكر... فيما ترك... من أمر وجود عنه تخلى ولم يقبل السجن في عالمه، منه تخلص، وبانخلاص شرف، ولكنه أدرك أنه ما كان له أنا به عمل إلى أنا مولاه إلا من أنا مبناه.. فأراد أن يرجع، إلى حيث بدأ بأنا لمعناه من مبناه، حتى صار في الهو لمولاه، ولا نفس له لأناه، فعاد إلى إنائه، فلبسه على ما تواجد به في ابتدائه... ولد جديدا بإرادته واختياره، واختار مولده أصول داره.. اختارهم، أبا بعد أب، حتى لقي من رضيه وقدر أنه به يواصل ومنه يسعد، لمعاني الأبوة مختارة منه منها ينزل.. وبها يتجدد.. فعلى الأرض مرة أخرى يتواجد ويسعد.. بموجود هو له الموجد.. وفيه المتواجد.. وهو عندما تواجد بجديد لذكر موجد هو له لمعناه، كان بقائم وجوده ذكرا لذكر، لعين معناه، ووجودا لموجد، لم يكن إله، بهذا قام إنسان الله بالحق لمبناه ومعناه قياما حقيقيا سرمديا.

بهذا قام وجوده الأثيري، عين قائم وجوده الفيزيقي.. وقام وجوده الفيزيقي، عين موجدته الأثيري.. قام وجوده الكثيف، عين وجوده اللطيف، وقام وجوده اللطيف عين وجوده الكثيف. قام وجوده الجسماني، عين وجوده الروحي، وقام وجوده الروحي عين وجوده الجسماني، لا فرق بينهما.. هما قيام واحد بشقيه، كان شقاه، كل من الآخر قاب قوسين أو أدنى، في ذاته ومعناه، بعث من الخلق بالحق، قائم وعين قديمه بالحق، {وبالخلق أنزلناه وبالخلق نزل} ١ كلها تجدد من قديم وكلها تقادم من جديد.

هكذا كان من عرفناه أول العابدين، وغاب عن إدراكنا أول عباد من عباد بشر.. من أنفسنا.. قال لنا على ما أمر وهدي، وأدب، {قل [لهم] إنما أنا بشر مثلكم} ٢. {وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً} ٣. قل لهم في أنفسهم ما يمكن أن تقول عن نفسك مما عليك للشهر به عنك حرمت، أشهدتك خلق نفسك.. وأشهدتك خلق السماوات والأرض لك، بيدك ومن صنعك.

قل لهم في أنفسهم ما عرفت في نفسك، فإني، بحيط إرادتي، وبشامل سنتي، وبكامل شرعتي، ما خلقتهم إلا لنفسي، إنسا أو جنا، على ما شهدت، لأمرك في نفسك قمت.

خلقتك لنفسي، وصنعتك على عيني، وأتممت عليك نعمتي، ورضيتك أنت للناس ديناً، فما كان الدين مني إلا أنت... وما كان الكتاب إليهم إلا قائمك بوجودك على ما شهدت وعرفت.

أخذت بيمينك ما صنعت، فكان كتابك، هو ما إليك أنزلت، من رد فعلك إليك، جزاء إحسانك، وزدتك باصطفائي لك، جزاء عرفانك.

وأبرزتك للناس، حقا أنزلت، إلى جواربي استكملت، وفي حضرتي كلمت، وإلى عالم الإنشاء لك أعدت، وكم من قبل، من بدء الإنشاء لك، سبق أني لقبلك لك بدأت، حتى كلمت واستكملت، كوثر من أزل لك خلقاً أوجدت، وكوثرابي من الخلق تحققت.

فعرفت، أن المعرفة تبدأ لعارفي من أنفسهم، يوم يتفكرون في أنفسهم، ويوم يبصرون في أنفسهم، ويوم ينعكسون إلى أنفسهم، ويوم يبدأون من أنفسهم، فإلى أنفسهم، أعيدهم، كاملين، وبأنفسهم استكملهم عابدين، وإلى أنفسهم أرد إليهم عملهم، ربانين، خلقوا أنفسهم، كانوا لها صانعين.

فعرفوا أن ليس للإنسان إلا ما سعى مؤمنين، وعلى سعيهم دائبين، لأنفسهم مجددين، ولدائرة وجودهم موسعين، بأيدي لهم منهم عضدا متخذين، للأعلى بخلقه متخلقين، فلسمواتهم موسعين، ولأراضيهم مجددين، وللحق في عوالمهم ناشرين، بنور الله عاملين، وبإرادة الله مرادين، فكانوا من المطلق مرادين.

أرادهم فأرادوه.. وطلبهم فطلبوه.. وتواجدهم فتواجدوه.. ومنحهم عوالم الكون والوجود خلقها لهم ومنها خلقهم فبمثلها لجديدهم بهم منه جدوه، وفي جديدها عرفوه، ومرسلا ورسولا قاموه، ومرسلا إليه من المرسل والرسول، أرادوه، فكان ما أرادوا على ما أرادوه.

هل عرف الإنسان معناه؟ وهل عرفه بنوه، فجددوهم فجددوه، وقاموا آباءهم، على جديدهم، فأجدادهم تواجدهم، ذاتا لذات طلبوه؟ ويطول بنا إسناد عننة حتى إلى الذات يعبدوه ويلاقوه.

ما الله.. ليقدره؟ وما الإنسان، ليستغفروه؟ وما أنفسهم، ليحيوها فيحيوه؟ إن الله في أيام دهركم لنفحات فلها تعرضوه، إن الله لا يقبل الشريك، فهلا رأيتم من معه توحده، فتتوحده فتعلمون عن وحدانية من تنشده، ومن بالألفاظ تذكره وفي الواقع تجددوه.

هلا ذكرتم الله، عبّدتم أنفسكم له، ليدانيكم فيكم، فتقوموه، فيكشف الغطاء عنكم فتشهدوه، ويقومكم فتعرفوه، وفي الدنيا لسماواتها وأرضها تعرفوه، رسولا عرفتموه.. وحيببا وصفتموه وفي قلوبكم ما أجلستموه، وإنسانا، لفظا ذكرتموه، في أنفسكم واقعا في قيامكم ما أبرزتموه، ولا جددتموه.

قلتم إنه بشر مثلكم.. نعم هو بشر مثلكم، فهل عرفتم ما أتم بشرا تقوموه؟ هل كشفت عنكم أغظيتكم حتى يعرفكم فتعرفوه؟ ما كان إلا بشرا ولباب البشرية، لو تابعتموه، ما كان إلا بشرا وقلوب البشرية، لو بعثتموه، وما كان إلا بشرا وجلود البشرية نواة عوالم لو أنكم قتموه.

هل شهدتم لا إله إلا الله، وقدرتموه بها لا إله إلا الله، فلم تقوموه؟ ولو قتموه، لشهدتم محمدا رسول الله لقيامكم، فالله أكبرتموه، وقلتم الله أكبر.. بلا إله إلا الله وحصنها دخلتموه، وما كان الحصن إلا محمدا أنكرتموه وحمدتموه.. فكيف تجددوه، وتكسبوه! كيف تنكروه، وتقوموه! كيف تغلقون دوركم دونه وتدخلوه! والله أكبر، على ما ترددون لفظا ما أدركتموه، نعم الله أكبر، لو أنكم لاسم الله قتموه، فعلى أنفسكم له أكبرتموه.

لو شاء ربك ما أشركوا.. لو شاء ربك ما فعلوه، إنما هي أعمالهم تُرد إليهم، فيكونوا على ما يشاؤون، فإني كائن على ما يكونون، وقائم بمشيئتي فيما يشاؤون.

أشيطانية أنفسهم يطلبون، وأنا أخيبهم فيما ينشدون، وأنا القادر على تحقيق ما يطلبون؟ من أراد أن يكون شيطانا فإني للشيطانية أجيبه، ولما سعى إليه، أقدره وأمكنه فيصيبه ويكون هذا مني له نصيبه.

ومن أراد الرحمة فرحم من في الأرض، رحمه من في السماء، فيوم يعود إلى السماء، دنيا له منها نشأ، رحم الراحين ممن في الأرض، وقامهم راحما، بعد أن كان بينهم من السماء مرحوما.

فأصبح بالحق لقائمه، اسم الله ورسوله، إيمانا بالله ورسوله، قائم بسملة الله، فأنزل الله به اسم الله الرحمن الرحيم.. قام في الشهادة مرحوما، وقام في الغيب راحما، وكلما تواجد بشهادة له، رآه مرحوما، وكلما تواجد بحق به، قام راحما، فكان الراحم المرحوم، كان الرحمن الرحيم اسما وعلما وحقيقة.. كان الرحمة.. كان من جعل رحمة للعالمين، حبيبا وخليلا وعينا وحقا.

وهل كان الرسول إلا كذلك؟ وهل قام محمد بيننا إلا بذلك؟ وهل يقوم هو اليوم علينا قائم الرفيق الأعلى، وإلى جوار الأعلى من الأعلى، إلا بذلك؟

هل رأيناه من يعود إلينا بعودة الروح قياما لرب العالمين.. داعيا به إليه نبيا رسولا، وعبدا وحقا مسؤولا؟

هل رأينا صدق نبوءته بكتابه وبسنته، وقد قال لنا عن الدينين {وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير}؟^٤ وما هو في عصرنا، بقدرته، ونفاذا وإعمالا لسنته، وبيانا وبلوغا لنبوءته كشف ما كان سرا عند أهل حضرته، الأغنياء بعد افتقار بطلعتهم، فجمع عوالم السماء على عوالم الأرض بقدرته على أمره قدره بحكمته، فنفخ في الصور بإرادته، فصعق من في السماوات والأرض عن نفسه وعزلته، بقائمه بوجود في جلده، إلى قائم وجود بالحق في وصلته، بقيام تواصل في قائم إحاطته، السماوات والأرض في قبضته، الأرض جميعا، قبضة إنسانه، لإنسانيته، والسماوات مطويات بيمنه، لقيامته بقيوم إنسانيته لوحده.

ما القيامة إلا ما أنتم فيه في عصركم ليومكم، وما كانت القيامة بعيدة عنكم في زمانكم لأمسكم، ولن ولم تتغير عما هي في غدكم.. {يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق}،^٥ إنها وطأة الحق على الباطل، طأها {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى}.^٦

إنكم في قائمكم بجسمانيكم، وبقائمكم في أثيركم، مختبرين في أمركم، لأمر الله لكم. خلق الله الخلق، في وجودهم الأثيري ابتداءً، فالأثير هو أرض الحياة لنشأتها.. فادعوا جميعهم محبته، نخلق لهم الدنيا لأثيريهم انتهاءً، فأخذت من أخذت، ثم خلق لهم الجنة، لمن بقي منهم، فأخذت من أخذت، ثم خلق للباقيين النار فأخذت من أخذت، وظهر كذبهم جميعا بتساؤلهم بينهم "هو ماذا؟ ولم هذا؟" فأصبحوا همزة لمزة.. {ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخذه}.^٧

ادعوا محبته، فابتلاهم، واختبرهم، فكان أغلبهم الضالين، وقليل من كانوا الشاكرين، هذا في حياة الأثير وديناه.

وهم في حياة الدنيا بالأثير المتجسد وأخراه أخذتهم العزة بالإثم فما زالوا يدعون محبة الله، مرأئين، ويدعون معرفته منافقين، ويدعون طاعته كاذبين، ويزعمون الاستقامة على ما أمروا ونهوا مختلين، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون.

هذا حالهم، فن تخلص منهم من شيء من ذلك، دخل الجنة النفسية الأولى، وهي أمر كامن فيهم، فإذا أقاموا فيها لرهبهم شاكرين، دخلوا الجنة النفسية الثانية برزوا بها عالمين، وهذا ما كمن فيهم مرحومين، فإذا ما ابتلاهم أدخلهم النار مختبرين ليصقل خلق الإنسان فيهم، لحقهم بهم عنه غافلين، لقائمهم مشركين {وما يؤمن أكثرهم يؤمنون بالله إلا وهم مشركون}،^٨ فيمزج بينهم بأوانيمهم لقائم نار الله بقدسه فيهم لنفوسهم في معانيهم {خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجن من مارج من نار}...^٩

فمزج بين الصلصال والمارج من النار ليتصلصل الفخار، ويصلح ليكون للنور دارا، وللماء وعاء وقرارا، فيكون للعالم وللوجود نواة، تدور حولها قضية الله، بدورة الأكوان حول حقي الإنسان.

فالإنسان في عالمه الأثيري، أو في عالمه الفيزيقي، أو في عالمه النوراني، أو في عالمه الناري، هو الإنسان في كنوده بعدم استقامته مع وجوده.. إن الله معه أيما كان {وهو معكم أين ما كنتم}،^{١٠} هو لكم كيفما كنتم.

{ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم}،^{١١} لا يؤاخذ الله الناس بظلمهم، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة}،^{١٢} لو فعل لمحايمهم، ما أبقاهم، لا في دنيا، من وجود فيزيقي، من طين لازب، ولا في أخرى، من وجود أثيري ناصب، من كان لطيف دائب، ولا في مرتقى من وجود نوراني من نور الوجود لم يدخل في حجاب نور الله برسول الله، ولا في مقابل من وجود ناري يتواجد من انفعالات الذات في أمر ذاتها، بعيدا عن قائم إرادة الله لقيام إرادته بها.

تعالى الله عن الوصف وعن الاتصاف، وتعالى أيضا عن البعد والاحتجاب وعدم الإنصاف.. تعالى الله عن الشريك، وتعالى أيضا عن العجز عن حفظ ما لنفسه أوجد، بقيوم وجوده على من تواجد، وبه وجد، {الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم}،^{١٣} {والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم}،^{١٤} {إن الله بالغ أمره}،^{١٥}

تعالى الله عن البعد والمغايرة معه، بما أوجد في دائرة وجوده، بإنسان تواجده، لآحاد وجوده، بعوالمه، في موجود حقه، لإنسان ربوبيته، لإنسان طلغته.. لإنسان حقيقته.

له عرف، وبه عرف.. فمن كان هذا الإنسان نعرفه؟ هل كان إلا رسول الله؟ وهل كان رسول الله لدائم رسالته إلا جماع رسل الله؟ وهل كان جماع رسالة الله إلا إنسان الله؟ وهل عرفنا إنسان الله لنا إلا عبدا لله؟ وهل كان عبدا لله لمشاهدتنا في دنيانا وأخرانا إلا محمدا لمعنانا؟

إن أي كائن بشري، حقق لنفسه، شرف البشرية، فبعث بالحق في بشريته، فأحى من موجوده موجود ترايبته، لا ومن موجود أثيريته.. لا بل ووجوده بنورائته.. وأيضا وجوده بنارائته.. إلى قائم إرادة لعلّ معروفة لإرادته، يصبح إنسانا في مظهر خلقيته لقائم وقيام حقيقته، لحقه وحقيقته.

لقد تجاوز الإنسان لأناه كل الطبائع، إلى خالق الطبيعة، إلى موجد الطبيعة، إلى موجد الكائنات، إلى موجد الوجود لأعلامه. فكان هذا الإنسان، هو قائم حق الوجود لأعلامه.

قال له يوما {قل جاء الحق} ١٦، فما كان فعلا إلا الحق، {وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا} ١٧، فقال لهم في أنفسهم مبشرا، ومنذرا، ومخدرا.

قال لهم ما يقربهم من الله، وما يلحقهم به أو يكشف لهم عن لحاقهم به، (ما تركت شيئا يقربكم إلى الله، إلا وأمرتكم به) ١٨، وما كان أمري إلا أمره.. (فإذا قلت لكم قيل لي فصدقوني، فإني لا أكذب على الله) ١٩.. (وما تركت شيئا يبعدكم عن الله، إلا ونهيتكم عنه) ٢٠، وما نهيتكم من أمري، ولكن بما أمرت، حملت لكم ما أمرت به، ليكون أمرا لكم فصدقوني.. وما قلت لكم إني أرى لأبقي بأناي من أنفسكم قدوة لكم (والظن يخطئ ويصيب) ٢١، فلا تدعوا لأنفسكم العصمة بصحبي.

إن النبوة، لا تغير من طبيعتي، ولا من شأني، فما أخرجتني من دائرة خلقيتي، ولا من دائرة عبوديتي، نعم من التراب نشأت ومن النور نشأت، ومن النار نشأت، ومن الروح نشأت، وأنا من كل ذلك نشأت، ولم تخرجني نشأتي، عن موصوف عبوديتي، في حقيتي وحضرة حقيقتي لمن أنشأني من روحه فيما فيه نشأت أيا ما كان وحيثما كان وأيما وكيفما كان.

ذهب بي، في مراقي فيه، لمراده بي، تحقيقا لافتقاري إليه، حتى إلى جواره حتى أجلسني، وفي الجوار خالطني، وتوadd معي ردا لودي بعد أن سبقني إلى الود معي، وغمرني بوده لي، وأين وده من ودي! وغمرني بخلته، فأين خلتي من خلته! أين وفائي من وفائه! أين بلائي من بلائه! أين حكمتي من حكمته!

ولكنه إلى نفسه أضافني، ووجها له، تجلاني وأكرمني، فلست غيره، وما كان عيني فلست عينه، ولست كله، ولست جزءه، وقد جعلني لمعناه من معناه، منه وجهه، (من رأيي فقد رأي حق) ٢٢.

ومن رأيي حقا تابعني فصار حقا، لأنه شهد حقا، بعين الحق لمرجوه له بإيمانه بي رسول ربه إيمانا بربه، وعبادة لإلهه، (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ومن نفسه التي بين جنبيه) ٢٣..

{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} ٢٤.

أين هو دينكم مما بين أيديكم؟ أين هو فقهم مما به فقهم؟ أين هو علمكم عنكم، مما به أعلمتم من الرسول، عنكم، وقد أمر أن يقول لكم فيكم قولا بليغا، قولا هو إرادة الله لكم لو سمعتم.. قولا لو صدقتم، لكانت إرادة الله لشيئكم، عين إرادة الله منكم.

فوجدتم ولمستم {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون} ٢٥، (عبدني اطعني أجعلك ربانيا تقول للشيء كن فيكون) ٢٦، على ما أردت، وعلى ما صورت وقدرت، {كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون} ٢٧.

فما كان الشيء معدوما عندما قيل له {كن}، ولكنه موجودا بعارية الوجود، لا يملكها، لو قال الله لأحدكم الآن، أأنت موجودا في وجودك القائم، فقال لك كن، فقائه تكون، وبما قالها لك قديما فستكون، وإن لم يقلها فلن تكون.

هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ٢٨، وكلها رآك في ساجد، قال له كن فيكون، فإن لم يراك سرية في كائن، فهو لا يراه، ولا يأمره ليكون، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} ٢٩.

فمَ يستغفرون؟ وكيف يستغفرون؟ فإن هذا يكون يوم يقولون سبحانك ربنا، غفرانك ربنا وإليك المصير.. يوم يقولون غفرانك ربنا ما كنا ندرى قبل الآن أن إليك المصير، وما كنا ندرى أنا منك لبدئنا إلينا بك لنا صرنا، ولو لم نكن منك ابتداء صرنا ما كان إليك مصيرنا.

ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من موجودهم، من أنانيتهم لمادي وجودهم، من موجود جسمانيهم، منكربين على أنا لبابهم لقلوبهم لأننا حقيقتهم، بإضافة أنا حقيقتهم لموجود خلقيتهم لمعاني الأنا له، وما خلق لهم قلوبهم، إلا ليملكوها بقلوبهم، فكيف يملكون قلوبهم لقولهم؟ وهو ما خلق لهم عقولهم من نوره إلا لتقود قلوبهم، وتعرف لعزتها قلوبهم، فكيف يسخرون عقولهم لبطونهم وفروجهم! هل سخروها لكسب حقيقتهم أم سخروها لإشباع نزواتهم لجلدتهم!

لمؤتمرات يجمعون، وبهائم الدين بغير نعمة لوصف علمائه يجتمعون، وفي الحظائر يحشرون حمرا، لو قيلت لهم كلمة حق، من أسد إنسان بينهم، لفروا من القسورة هارين، نافرين، مبهوتين.

أقاموا أوثانهم بحكامهم وأجسادهم لها عابدين، هي على كراسي الحكم، تحاكي أحكم الحاكمين على العروش يستون، في مظاهر الإنسان الحق يحاكون، وهي تماثيل الجسمان، ملؤها لموهوم ملائكتها عند

الأقدام لها يسجدون بقوائم الكراسي مسكين، لا يعرفون الجالسين، أمن الشياطين هم أم من الرحامين، وباسم الله مع الكراسي يتعاملون.

ثم هم بعد ذلك في دورهم ومجالسهم يتفقهون.. حَمَلَة الدين.. وأئمة المسلمين، كرماء كاتبين.. يميزون بين المؤمنين والكافرين، على القلوب مطلعين، ويحكمون حكم رب العالمين، وجوها له ظاهرين، وألسنة به ناطقين.

يفتتون بكفر الكافرين، ويضيفون إلى أنفسهم من يرتضوا لهم من المؤمنين، تبعاً لهم وظلالاً لأوثانهم لرعاتهم أنعاماً يهشون، وبهائم يرعون، لا عقل إلا عندهم، ولا حياة إلا لهم.. ولا دين إلا بهم.

دين وأي دين؟ إنه دين الفاسقين.. إنهم باءوا بالكفر به عاملين، يكفرون الناس وهم الكافرون.. ويستعلون على الناس وهم السافلون، ويملون إرادتهم على الناس، وينسون أنهم بالكتاب الذي يحملون هم المأمورون، من أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بينهم بالحق يبعثون، لا تنسوا أنفسكم أيها المتفقهون ألا تعقلون؟ تأمرون الناس بالبر، وأتم بما تأمرون الناس به عنه بأنفسكم تتخلفون، فأنفسكم تظلمون (فقهاء أمتي في الدرك الأسفل من النار)^{٣٠} لويلعلون، (إذا خالط الفقهاء الأمراء فاحذروهم فإنهم قد تذأبوا)^{٣١}، فأنتم مع ذئاب لا تتعاملون، ولا تسمعون، يوم أنكم لما جئت به إليكم تعقلون، (استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك)^{٣٢}، (الحلال بين والحرام بين)^{٣٣}.. (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به)^{٣٤}، (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^{٣٥}. {فن عفا وأصلح فأجره على الله}^{٣٦}.. (اسأل الله ولو في ملح طعامك)^{٣٧}، واستعن به في فعلك وقيامك وكلامك، قل بسم الله الرحمن الرحيم، واعلم أنه لا إله إلا الله، وانشد أن تشهد أنه محمداً رسول الله، لتشهدك بكشف غطائك عنك يقوم ويتقلب في الساجدين.

اللهم برحمتك نخلصنا مما نحن فيه، واكشف الغمة عن الأرض، واكشف الغمة عن هذا البلد، واكشف الغمة عن بلاد المسلمين، واكشف الغمة عن بلاد خلقك أجمعين، واكشف الغمة عن أنفسنا، واكشف الغمة عن عقولنا وعن معرفتنا، واكشف الغمة عن معانينا، واكشف الغمة عن قلوبنا وقوالبنا، واكشف الغمة عن دنيانا، واكشف الغمة عن أحرانا، واكشف الغمة عن معاننا، واكشفها كذلك عن مبنانا، وأشهدنا لا إله إلا الله، وأدخلنا حصنها، وأشهدنا محمداً رسول الله، وامنحنا به قيامها.

سبحانك لا إله إلا أنت لا شريك لك.

اللهم فولِ أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بعدلك أو بغضبتك، وخذ بنواصينا إلى الخير والعدل، حكاما ومحكومين روادا مرودين، ضالين ويقظين، نائمين، ومستيقظين، عمنا برحمتك يا أرحم الراحمين بمن جعلته رحمة للعالمين.

قنوت

ربنا، وإلهنا، وحقنا، وقُدسنا، وقيامنا، ولا إله إلا الله لنا، ومحمدا رسول الله لحقنا وقيامنا، اللهم برحمتك فتولنا، وعمنا، واكشف الغمة عن أرضنا، وارزقنا السلام، وامنحنا أمنا.

ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا، وتجاوز عن سيئاتنا. اللهم اكشف الغمة عن بلدنا وعن بلاد المسلمين معنا، وعن بلاد عبادك في أرضك، وكن لنا في أمرنا، ولا تتركنا لأنفسنا، وولِ اللهم أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا جزاء لنا، لا تولِ أمورنا شرارنا بعدلك، فمن عدلك فعافنا واغفر لنا، وعاملنا برحمتك وعفوك، وبهما كن لنا.

وجنبنا هذا الصراع المميت بيننا، فألف اللهم بين قلوبنا، وأنز برحمتك وحكمتك عقولنا، وقوم فيك لك نفوسنا، لا تكلنا لأنفسنا، ولا لغيرك من شهواتنا، وكن لنا في الصغير والكبير من أمرنا، وارزقنا سلامنا وأمنا، بجاه من جعلته سلاما لنا وأمنا بنا، وسكينة لأنفسنا.

اللهم فكنه مما جعلته له رحمة للعالمين، وخيرا جامعا شاملا محيطا بالناس أجمعين، مزوية له الأرض برحمتك، فازوها اللهم له برحمته، وخلصنا من غضبتك علينا ردا لأعمالنا، وكنودا بنا، وانشر نور الرحمة فينا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

| | |
|---|---------------------|
| ١ | سورة الإسراء - ١٠٥ |
| ٢ | سورة الكهف - ١١٠ |
| ٣ | سورة النساء - ٦٣ |
| ٤ | سورة الشورى - ٢٩ |
| ٥ | سورة الشورى - ١٨ |
| ٦ | سورة طه - ١٠٢ |
| ٧ | سورة الحمزة - ١-٣ |
| ٨ | سورة يوسف - ١٠٦ |
| ٩ | سورة الرحمن - ١٤-١٥ |

- ١٠ سورة الحديد - ٤
- ١١ سورة النساء - ١٤٧
- ١٢ سورة النحل - ٦١
- ١٣ سورة الأحزاب - ٦
- ١٤ سورة الشورى - ٦
- ١٥ سورة الطلاق - ٣
- ١٦ سورة سبأ - ٤٩
- ١٧ سورة النساء - ٦٣
- ١٨ حديث شريف: "إنه ليس شيء يُقربُكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يُقربُكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه، إنَّ الرُّوحَ القُدُسَ نَفَثَ في رَوْعِي: أَنْ نَفْسًا لَا تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَكِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا في الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَدْرِكُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ." أخرجه الحاكم والبيهقي.
- ١٩ حديث شريف ذات صلة عن حادثة تلقيح النخل: "إنما هو ظنٌّ ظننته إن كان يُغني شيئاً فاصنعوا فإنما أنا بشرٌ مثلكم والظنُّ يُخطئُ ويصيبُ ولكن ما قلت لكم قال الله عز وجل فلن أكذب على الله." أخرجه أحمد في مسنده.
- ٢٠ حديث شريف: "إنه ليس شيء يُقربُكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، وليس شيء يُقربُكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه، إنَّ الرُّوحَ القُدُسَ نَفَثَ في رَوْعِي: أَنْ نَفْسًا لَا تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَكِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا في الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَدْرِكُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ." أخرجه الحاكم والبيهقي.
- ٢١ من حديث شريف ذات صلة عن حادثة تلقيح النخل: "إنما هو ظنٌّ ظننته إن كان يُغني شيئاً فاصنعوا فإنما أنا بشرٌ مثلكم والظنُّ يُخطئُ ويصيبُ ولكن ما قلت لكم قال الله عز وجل فلن أكذب على الله." أخرجه أحمد في مسنده.
- ٢٢ إشارة إلى الحديث الشريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الحَقَّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى في المَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي." صحيح ابن حبان.
- ٢٣ إشارة إلى الحديث الشريف: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ، وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ." صحيح البخاري. "والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين." متفق عليه.
- ٢٤ سورة النساء - ٦٥
- ٢٥ سورة يس - ٨٢

- ٢٦ حديث قدسي يرد في بعض كتب المتصوفة والشيعة، جاء في الأثر بلفظ "يقول الله عبدي أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، فأطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون".
- ٢٧ سورة آل عمران - ٧٩
- ٢٨ سورة الشعراء - ٢١٩:٢١٨
- ٢٩ سورة الأنفال - ٣٣
- ٣٠ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة: "مررت ليلة أسري بي بأقوام تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به." أخرجه أحمد والبخاري وأبو يعلى.
- ٣١ إشارة لحديث شريف أخرجه الديلمي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء؛ لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا، والأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا في الآخرة." أيضاً، أخرج الديلمي الحديث الشريف: "عن الحسن، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه، ما لم يماري قراؤها أمراءها)".
- ٣٢ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.
- ٣٣ حديث شريف: "إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمورٌ مشتهياتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه..." أخرجه البخاري ومسلم
- ٣٤ حكمة دارجة، توافق مقولة الإمام علي كرم الله وجهه: "قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: "اجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك، فأحب له ما تحب لنفسك وكره له ما تكره لها، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، ولا تظلم كما تحب أن لا تظلم".
- ٣٥ من حديث شريف: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه أبو داود، والترمذي.
- ٣٦ سورة الشورى - ٤٠
- ٣٧ في معنى الحديث الشريف: "ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله شسع نعله إذ انقطع." أخرجه الترمذي والبخاري وأبو يعلى. ويقرب مما روي في الأثر أن موسى عليه الصلاة والسلام قال له ربه: يا موسى! سلني كل شيء، صغيره وجليله وعظيمه، قال: والله! يا ربي! إنه لترد علي الحاجة، وأستحي أن أسألك إياها لصغرها، فقال: لا، بل سلني كل شيء، حتى شراك نعلك، وملح عجينة، وعلف دابتك. وجاء بصيغة "فيما أوحى الله إلى موسى: يا موسى، سلني كل ما تحتاج إليه، حتى علف شاتك، وملح عجينة." بحار الأنوار من المكتبة الشيعية.